تعريب التعليم في العالم العربي

معالي وزير التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة
الأستاذ : السيد يوسف

ان الجهود القيمة التي يقوم بهـا المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية بمدينة الرباط ـ تستحق الثناء والتقدير ، وتقابل بصفة خاصة في الجمهورية العربية المتحدة بما هي جديرة به مـن الاعجـاب .

ونحن نتفـق الى مدى بعيد مـع ما يذهب اليه اخواننا العرب في المغرب الاقصى ، مع اتجاهات نحـو تعريب التعليم في العالم العربي ، وقبـل أن نسجل انطباعاتنا عن هذا الاتجاه نقف وقفة قصيرة أمـام المجلة التي تنطق باسم المكتب ، وهي مجلة « اللسان العربي » ، لنؤكد لكم ـ أيها الاخوة العرب ـ سرورنا بما هي عليه مـن حسن التبويب والدقة العلمية في تناول الموضوعات اللغوية المختلفة ، وهذا مما يكشف عن المقاصد النبيلة التي تحدو القائمين على اخراجها في هذا الثوب الجديد ، خدمة خالصة للغة العرب ، ورغبة قوية في استعادة أمجادهم في مشرقهم ومغربهم .

وان كان لنا أن نضيف شيئا الى بحوثها العميقة فاننا برغبة ملحـة نميل الى الدرس المتئد المستوعب للتطور اللغوي للغتنا العربية في مختلـف عصورها ، منذ نشأتها الى الآن حتى يتضح لنـا من خلال هـذا التطور الفهم الدقيق لمشكلات اللغة وعلومها ، وكل ما كان له أثر في المحاولات الاصلاحية ، التي قـام بها الائمة السابقون للغة وعلومها فان ذلـك ـ ولا شك ـ يلقي ضوءا ساطعا على ما نحن بسبيله من اصلاح لغوي ، يجعل لغتنا قادرة على الوفاء التـام بحاجات الحيـاة المتطورة ، كما كانت من قبـل في عصور ازدهارها ، حينما كانت المنهل العـذب للواردين ، الذين كـانوا يفدون من انحاء العالم الى الجامعات والمراكز العلمية ، للتزود بثقافات العرب .

وان موضوع التعريب في العـالم العربي لهو مـن الموضوعات التي تشغل اليـوم الاقطار العربية كلها ويبدو ذلك واضحا في مقررات مؤتمر التعريب الـذي عقد بالرباط في سنة 1961 ، ومؤتمر المعلمين العرب بالجزائر ، ومؤتمر وزراء التـربية والتعليم العـرب ببغداد في سنـة 1964 ومؤتمر المعلمـين العرب في الاسكندرية في سنة 1965 ، وما أثير في هذه المؤتمرات يدل دلالة قاطعة على أننا سائرون على الطريق ، واننا في يوم ما ستحقق أهدافنا مـن تعريب التعليم فـي وطننا العربي كله .

وانه لمن الضروري أن نشير اشارة خاطفة الى مـا قام به أجدادنا العرب الامجاد ، حـين بدأوا يعربون العلم ، الذي هو مادة التعليم في أواخر العصر الاموي ، عـن طـريق ترجمة العلـوم اليونانية والهنديـة والفارسية ، فقد روى الثقـات أن أول من اشتغـل بالترجمة وصناعة الكيمياء خالد بن يزيد بن معـاوية وأنه ترجم كراسة في الطب ، تعرف بكراسة (أهرن) وكان أهرن طبيبا مسيحيا من أطباء مدرسة الاسكندرية الذين ظهروا في أوائل القرن السابع الميلادي . ثم أخذ العلم يشق طريقه بقوة من أجل النمو والازدهار .

وكان أبو جعفر المنصور أول خلفاء بني العباس الذين تنبهوا الى قوة العلم في بناء صرح الحضارة ، فشجع الترجمة والنقل ، وقد بلغ من شدة حرصه على تعريب العلم أنه اعتمد على بعض علماء السريان الذين اشتهروا في أيامه بخدمتهم للثقافات اليونانية ، وكانوا يقيمون وقتئذ في مدارسهم المعروفة في الشام في (الرها) و (نصيبين) و (حران) .

كان هؤلاء العلماء فضلاً عن المامهم بالثقافة اليونانية واللغة اليونانية ـ يتقنون اللغة العربية فاستخدمهم

أبو جعفر فى ترجمة علوم الطب والفلك ، غير أن أجدادنا العرب لم يحاولوا ترجمة أدب اليونان اذ كانوا ينظرون الى أدبهم باعتباره أحسن الآداب ، ولانهم وجدوا الادب اليونانى أدبا وثنيا ، يتحدث عن تعدد الآلهة ، وان لها بنات فى الماء وفى السماء ، لذلك أنكروه أشد الانكار وعزفوا عنه عزوفا كبيرا .

وفى عصر الرشيد أقبل العرب المسلمون على الترجمة والنقل اقبالا شديدا اذ كان الرشيد أشد تحمسا من أبى جعفر فى تشجيع تعريب العلم فقد كان يقوم بنفسه بغزو بلاد الروم كل سنة ، وعرفت هذه الغزوات بالصوائف (الغزوات الصيفية) وكان من أغراضها - فضلا عن الاغراض الحربية - الحصول على مزيد من الكتب والمحفوظات فى مختلف العلوم ، وفى الطب والرياضة والفلك والفلسفة ، ولذلك اتجه الى المدن الرومية ، التى تزخر مكتباتها بهذه الكتب ، ومنها (عمورية) و (أنطاكية) ، وكان الرشيد يجعل من بين شروط الصلح الاستيلاء على ما فى خزائن هذه المدن من كتب نفيسة .

وشتان ما بين غزو من أجل العلم ، وغزو من أجل استعباد الشعوب ، وامتهان كرامة الانسان وسلب حقوقه الطبيعية فى الحياة .

وكان (يوحنا بن ماسويه) من أشهر المترجمين فى أيام الرشيد ، وهو صاحب الفضل فى انشاء دار كبيرة للكتب ، تلك الدار التى اتسعت فيما بعد ، وصارت تعرف بدار الحكمة فى أيام المأمون العباسى .

وكان عصر المأمون عصر تهذيب للترجمات السابقة ، وذلك التهذيب الذى ترتب عليه التحصيل الواعى والهضم الدقيق لجميع الثقافات الاجنبية ، مهد لعصر الابتكار وبناء الثقافة العربية الاسلامية ووضع أصولها ومناهجها .

نهج العرب هذا النهج فى تعريب العلم ، لانهم كانوا يعلمون أنه لا ينبغ النابغة فى أى علم او فن الا بلغته الاصلية ، فرأيناهم بعد الفراغ من دور التحصيل والاستيعاب للعلوم المترجمة - ينتقلون بسرعة الى ابتكار آراء جديدة ، ويضيفون الى التراث الانسانى علما عربيا جديدا ، وهذا مما جعل علامتنا ابن خلدون يقرر أصلا مشهورا : «ان تعلم العلم بلغة أجنبية لا يعتبر تعلما .»

ثم استمرت حركة تعريب العلم حتى صار العلم العربى عينا ثرة ونبعا لا يفيض يعب منه الاوربيون الى أن دهى العرب ما دهاهم من عوامل التفرق والانقسام .

وقد وعت امتنا العربية اليوم هذا التاريخ الحافل، ولذلك نراها فى وثبتها الحاضرة - تعمل فى تصميم وعزم على استعادة ما كان للغتها من منزلة علمية سامية .

وما كاد فجر النهضة الحديثة يبزغ بطلعته - المشرقة - حتى بدأت العربية تنفض عنها غبار العصور المتأخرة التى كانت تئن تحت وطأتها الثقيلة ، وأخذت تعمل على مسايرة ركب الحضارة من حولها ، وتتقبل الالفاظ الجديدة التى جاءت بها النهضة العلمية والحضارية فى جميع الميادين ثم جاء مجمع اللغة العربية فى النصف الاول من هذا القرن تلبية لهذا التطور ، وقد حرص فى ابان نشأته فى سنة 1932 م على أن يحدد أغراضه ويوضح سبيل تنفيذها فكان من أهم أهدافه الكبرى المحافظة على سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فدرس على أيدى خبرائه المتخصصين متن اللغة فى أصله ونشأته ، فى نموه وتطوره ، ورسم طريقا فى البحث فى وسائل تغذية هذا المتن ، وتحقيقا لذلك وضع طائفة من القواعد والمبادى، واتخذ قرارات هامة تتصل بوسائل انهاض اللغة ، أخصها الوضع واطلاق القياس ، وتحرر السماع من قيود الزمان والمكان والتسليم بالتعريب ، والاعتداد بالكلمات المولدة وتسويتها بالكلمات الاصلية .

واحتج المجمع لهذه القرارات بما سلكه العرب من قديم ، فقد استباحوا الوضع فى مختلف صوره وقبلوا كلمات أجنبية أضافوا بها ثروة الى لغتهم .

غير أن مجمعنا الموقر - وان سلم بمبدأ التعريب - نراه يعالجه بشىء من الحيطة والحذر ، فأصدر فيه هذا القرار المشهور :

« يجيز المجمع أن تستعمل بعض الالفاظ الاعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب فى تعريبهم . »

ولكن التعريب برغم ذلك ما يزال موضوعا شائكا فقد اختلف فيه علماء هذا العصر وجرى بينهم فيه كثير من الجدل .

هذا مع أن عرب الجاهلية أدخلوا فى لغتهم كلمات أعجمية جاء بعضها فى القرآن الكريم ، وكان من الطبيعى بعد ذلك أن يزداد التعريب فى الاسلام ، حين اشتد اختلاط العرب بأهل البلاد المفتوحة وبغيرهم من الامم فتعددت وسائل التاثر بالثقافات الاجنبية ، وقد

استدعى نقل هذه الثقافات الى اللغة العربية استخدام مصطلحات جديدة ، أدخلها المترجمون وخاف فريق من علمائنا المتأخرين من طغيان الالفاظ الاعجمية على الفصحى ، فوقفوا موقفا خاصا من التعريب وجعلوه سماعيا مقصورا على ما ورد على ألسنة العرب الفصحاء وقد دفعهم الى ذلك شدة حرصهم على الفصحى ، واقتدى بهم كثير من أصحاب المعجمات فأبوا أن يدونوا الاعجمى المحدث ، وعابوا على صاحب القاموس نقله لكثير من أسماء النبات والحيوان والعقاقير المعربة والقائلون بالتعريب انفسهم مختلفون فيما بينهم ، فمنهم من يرى ضرورة التزام الاوزان العربية ، ومنهم من لا يلتزمها ، ويعرب الكلمة كما وردت فى لغتها الاصلية .

وانصافا لجهود علمائنا نرى أن قرار التعريب الذى أصدره مجمعنا ـ وان كان يوحى بعدم التوسع فى التعريب ـ الا أنه جعله أصلا لغويا ، لا ينظر اليه فى توجس وخيفة ، كما كان الشأن منذ ربع قرن أو يزيد فسمح بذلك المجال أمام اللغويين والباحثين ، لكى يمدوا اللغة بزاد لم يتوفر لها بالامس ولقد كان من ثمرات العمل اللغوى الدائب لمجمعنا ذلك المعجم الوسيط الذى نراه بين أيدينا اليوم .

وهو الآن بصدد وضع معجم تاريخى للغة ، يعبر عنها فى عصورها المختلفة ويضم ألفاظا جديدة الى جانب الفاظ الجاهلية وصدر الاسلام ، والالفاظ العلمية التى هى وليدة عصر الترجمة فى أيام العباسيين ويستشهد بالشعر والنثر ، مهما يكن العصر الذى قيلا فيه ، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التى أقيمت خطأ بين عصور الترجمة ، ويثبت أن فى العربية وحدة تضم أطرافها .

هذه اشارة الى بعض الجهود التى بذلت ، وما تزال تبذل فى سبيل تطوير لغتنا .

ويسر الجمهورية العربية المتحدة ـ الفتية ـ أن تشارك شقيقتها المملكة المغربية فيما تعمل من أجل تعريب التعليم ، وتبارك جهودها المثمرة فنحن متفقون على أن تتجه عنايتنا جميعا الى توحيد المناهج فى الوطن العربى الاكبر ، حتى يعرف كل تلميذ فى كل قطر عربى تاريخ بلاده وجغرافيتها ثم يتدرج من ذلك الى الوطن العربى الاكبر ، ثم الى بلاد العالم شرقه وغربه وان تتوافر جهودنا لتكوين ثقافة عربية أصيلة تتناول جميع الجوانب المتصلة بتاريخنا وعاداتنا وتقاليدنا وأمجادنا عبر العصور ، لكى يتزود بها أبناؤنا من المحيط الى الخليج .

وهذا يتطلب منا اعداد كتب موحدة ومصطلحات موحدة ومعلم عربى يستطيع أن يؤدى رسالته العربية فى كل قطر عربى ، وحتى يتحقق لنا ذلك لا بد من خطوة ايجابية ، وهى توحيد جهود المجامع والهيئات اللغوية فى الوطن العربى حتى نصل فى أقصر وقت الى اقرار المصطلحات الضرورية لتأليف الكتب المدرسية المقررة ، ويتصل بهذه الخطوة الاتفاق على نحو ميسر وكتابة ميسرة ، ومنهج موحد لاعداد المعلم العربى ، وما ذلك ببعيد على علمائنا فى مختلف البيئات العربية .

وفقنا الله لما فيه مجد العروبة وأعلاء كلمة العرب .